بهيئة تعظيم . وهذا أقوى الأقوال عندي لوجهين أحدهما حديث عائشة عند أحمد والبخاري ومسلم وهو « أنها نصبت ستراً وفيه تصاوير فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزعه . قالت : فقطعته وسادتين فكان يرتفق عليهما » وفي لفظ أحمد « فقطعته مرفقتين فلقد رأيته متكئاً على احداهما وفيها صورة » المرفقة المتكأ والمخدة ولو كانت الصورة ممنوعة لذاتها لأزالها من المرفقة وإنما هتك الستر لأنه كان منصوباً كالصور المعبودة فهو يذكر بها وفيه تشبه بعابديها . ثانيهما العلة الحقيقية في النهي عن التصوير والصور المعظمة وهي محاكاة عباد الاصنام لا ماقالوه من ان فيها محاكاة خلق الله فان هذه العلة تقتضي تحريم تصوير الشجر والجماد وقد نقل بعضهم الاجماع على حله . فاذا انتفت العلة انتفى المعلول والله تعالى أعلم

## القسم العمومي

### الاجتماع الثالث ـ الداء أو الفتور العام

في مكة المكرمة يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في الوقت المعين وهو بعد طلوع الشمس بساعة ثم توارد الاخوان لمحفل الجمعية غير ان الاستاذ الرئيس تأخر نحو نصف ساعة ثم حضر واعتذر بأنه عاقه عن الحضور ان حضرة الشريف الأمير قد طلبه لزيارته فما وسعه الا الاجابة باكراً وما كان يظن أن يسترسل بينهما الحديث فيتأخر عن الميعاد ولكن اتفق ان الحديث كان طويلاً .

ثم قال ( الاستاذ الرئيس ) انا متشوقون لتمام بحث المولى الرومي وأمر السيد الفراني كاتب الجمعية فقرأ ضبط مذاكرات الاجتماع السابق حتى بلغ آخره من عبارة المولى الرومي وهي قوله وعندي ان داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين وعبادة أخرى تحت ولاية الجهال المتعممين

فحينئذ أفاض ( المولى الرومي ) في الكلام فقال وهم القريبون من الامراء على أنهم علماء وارتباط القضاء والامضاء بهم فان بعض هؤلاء المتعممين في البلاد الاسلامية

كانوا اتخذوا لانفسهم قانوناً جعلوا فيه من الاصول ما انتج منذ قرنين الى الآن ان يصير العلم منحة رسمية تعطى للجهال حتى للاميين بل وللاطفال.

ويترقى صاحبها في مراتب العلم والفضل والكمال بمجرد تقادم السنين أو ترادف العنايات لاسيما اذا كان من زمرة الاعلاء. فانه يكون طفلا في المهد وينعت رسميا بانه «أعلم العلماء المحققين» ثم يكون فطيما فيخاطب بانه «أفضل الفضلاء المدققين» ثم يصير مراهقاً فيعطى لقب «أقضى قضاة المسلمين، معدن الفضل واليقين، رافع اعلام الشريعة والدين، وارث علوم الانبياء والمرسلين.» ثم وثم حتى يبلغ الوصف (باعلم العلماء المتبحرين، وافضل الفضلاء المتورعين، ينبوع التفضل واليقين.)

ولا يظن ظانّ ان هذا الاطراء من الامراء للمتعممين هو بقصد ان يقابلوهم بالمثل بألقاب «المولى، المقدس، ذي القدرة، صاحب العظمة والجلال، المنزه عن النظير والمثال، واهب الحياة، ظل الله، مهبط الالهامات، سلطان السلاطين، مالك رقاب العالمين، ولي نعمة الثقلين، ملجأ أهل الخافقين،» الى غير ذلك من مصارع الكبرياء والمهالك.

هذا ولا ريب ان كثيراً من هؤلاء العلماء المتبحرين لايحسنون قراءة نعوتهم المزورة كما ان بعض اولئك المتورعين رافعي اعلام الشريعة والدين يحاربون الله جهاراً ويستحقون مايستحقون من الله وملائكته والمؤمنين.

ويكفي حجة عليهم ذلك تميزهم جميعاً بلباس مرموق مزركش بكثير من الفضة والذهب مما هو حرام في الاسلام وقد اقتبسوا هذا اللباس من كهنة الروم الذين يلبسون القباء والقلنسوات المذهبة عند اقامة شعائرهم وفي احتفالاتهم الرسمية وكم من خطيب يتوعى على المنبر ويقول اتقوا الله وعلى رأسه وصدره ومنكبيه هذا اللباس المنكر (مرحى).

ثم ان هؤلاء المتعممين ما كفاهم هذا القانون فالحقوه بقانون آخر جعلوا فيه التدريس والارشاد والوعظ والخطابة والامامة وسائر الخدم الدينية كالعروض تباع وتشترى وتوهب وتورث وما يخل منها نادراً عن غير وارث يبيعها القضاة لمن يزيد في ثمنها او يتكرمون بها على المتملقين وبهذا القانون انحصرت الخدم الدينية في الجهلاء والمنافقين.

ثم لما شكلت بعض الحكومات مجالس ادارية لم يرض المتعممون حتى جعلوا فيها قاضي المسلمين وكذلك مفتي المؤمنين فهما في كل بلد عضوان في مجالس الادارة يحكمان باشياء كثيرة مما يصادم الشرع كالربا والضريبة على الخمور والرسوم العرفية وغيرها مما كان الأليق والأنسب بالاسلامية ان يبقى العلماء بعيدين عنه كما ان القسيس بل

الشهاس لايحضر مجلساً يعقد فيه زواج أو تفريق مدنيان ولا يشهد في ملك دين داخله ربا فضلا عن ان يقضي أو يمضي بصفة رسمية كهنوتية امثال ذلك من الاعمال التي تصادم دين النصرانية .

وكذلك لما وضعت المحاكم العرفية (الاهلية) تهافت المتسمون على جعل قاضي المسلمين نائباً للمحكمة العرفية التي تحكم بما لم ينزل الله قضوا بترأ الدين الحنيف منه من محوراً صريح ومن ابطال حدود الله التي صرح بها القرآن أو باستبدال عقوبات سياسية أو تفريعات مالية بها . ومن نحو مساقة البلد بمجرد الظن والرأي وشهادة الواحد وشهادة الفاسق وشهادة العامة المجاهرة بما الايلائم الشرع قطعاً ومن نحو تنفيذ كل حكم عرفي حق أو باطل بدون نظر فيه ومن تحصيل ضرائب وغرامات ومن توقيف الاحكام الشرعية على استيفاء الرسوم من الاخصام وأموال الايتام

ومن أهم مسائل المتسمين انهم يفتون في صدور الامراء لزوم الاستمرار على الاستقلال في الرأي وان كان مضراً ومعاداة الشورى وان كانت منتجة والمحافظة على الحالة الجارية وان كانت سيئة ويفتون عليهم بأن مشاركة الامة في تدبير شؤونها واطلاق حرية الانتقاد لما يخل بنفوذ الامراء ويخالف السياسة الشرعية ويفتونهم حجباً واهنة لولا ان لها سلطان جهال الامة ووراءها سطوة الامارة المتحرك بها نفاق ولا تردد في ردها انسان

والامر الامر أن لولئك الامراء يفتون من هذه الحيج ملتحون به في مقابلة من يعترض على سياستهم من الدول الاجنبية بقولهم ان قواعد الدين الاسلامي لاتلائم اصول الشورى ولا قبول النظام والترقيات المدنية وانهم مغلوبون على أمرهم ومضطرون لرعاية دين رعاياهم وعبارة مثل الفكر التام

وبهذه القوانين استأثر الجهلاء المتفقهون بمزايا العلماء العاملين واغتصبوا أوراقهم من يد الضلال ومن أوراق الاسلاف فبالضرورة قلت الرغبات في تحصيل العلم وتعطلت الهمم وصار طلب العلم ينظر للاكتفاء بلقمة عيش ويشتغل بالاحتراف للارتزاق وهكذا فقد العلم وقل أهله فاختلت التربية الدينية في الامة فوقعت في الفتور وعمت فيها الشرور .

أجاب (الزيلعي الكردي) ان هذا الداء خاص ببعض الشعوب الاسلامية فلا صحة لقولكم العام الذي نحن فيه ونتساءل عنه . وعندي ان السبب العام هو ان علماءنا كانوا اقتصروا على العلوم الدينية وبعض الرياضيات واهملوا باقي العلوم الرياضية

والطبيعية التي كانت اذ ذاك ليست بذات بال ولا تفيد سوى الجدل والكلام فتقد أهلها من بين المسلمين واندرست كتبها وانقطعت علاقتها فصارت منفوراً منها على حكم « المرء عدو ما جهل » بل صار التطلع اليها منهم يشق ويرمى بالزيغ والزندقة على حين اخذت هذه العلوم تنمو في الغرب وعلى مكر القرون ترقت وظهرها ثمرات عظيمة في جميع الشؤن المادية والادبية حتى صارت كالشمس لاحياة لذي حياة الا بنورها فاصبح المسلمون مع شاسع بعدهم عنها محتاجين اليها لمجاراة جيرانهم احتياجا يعم الجزئيات والكليات من تربية الطفل الى سياسة الدائن ومن استنبات الارض الى استمطار السماء ومن عمل الابرة والقوارير الى عمل المدافع والبوارج ومن استخدام اليد والحمار الى استخدام البرق والبخار .

ولاشك ان المسلمين أصبحوا بعد الاكتشافات الجديدة يستفيدون من العلوم الطبيعية والحكمية فوائد عظيمة جداً بالنظر الى كشفها بعض اسرار كتاب الله وبالغ الحكمة النطوية فيه مما كان مستوراً الى الآن وقد خبط فيه المفسرون خبط عشواء .

بل اضحى المسلمون محتاجين للحكمة العقلية التي كادت تجعل الغربيين اندى منا حتى بمباني ديننا كاستدلالهم بالمقايسة على ان نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل المللين عقلاً وأخلاقاً وكاثباتهم بالمقابلة ان ديننا أسمى الديانات حكمة ومدنية .

وعندي انه لولا هذا القصور الواقع المسلمون في هذا القرن . والامل بعناية الله انهم بعد زمان قصير أو طويل لابد أن يلتفتوا الى هذه العلوم التافهة فيستفيدوا منها بل يجلبوا الى دينهم العالم المتمدن لان نور المعارف على قدر ابعاده العقلاء عن النصرانية واضرابها يقربهم من الاسلامية لان الدين المملوء بالخرافات والعقل المستنير لايجتمعان في دماغ واحد . ( صرحي )

ثم ان تتمة هذا التقصير وان كانت تلحق علماء الأمة المتقدمين الا ان علماءنا المتأخرين اكثر قصوراً لانهم في زمان ظهرت فيه فوائد هذه العلوم ولم يحصل فيهم ميل لاقتباسها بل زادهم مقتصرين على تدريس فنون اللغة والفقه فقط أو بملاوة شيء من المنطق اقتباساً للعقائد وشيء من الحساب اكمالا للفرائض والمواريث فلما يفيد .

وكذلك نرى وعاظنا مقتصرين على البحث في الرقائق والقربات المزيدة في الدين ورواية الحكايات الاسرائيلية ومثلهم المرشدون أهل الطرائق فهم مقتصرون على حكايات نوادر الزهاد من صحيح وموضوع ورواية كرامات الاعجاب والنقباء والابدال وعلى ضبط وزن القبائل واصول الانتساب ولاسيما خطباؤنا واقتصارهم على تكرار

عبارات في التحض والدعاء للغزاة والمجاهدين وتعداد فضائل العبادات والشهور والمواسم.

والحاصل ان تقصيرات العلماء الاقدمين واقتصارات المتأخرين وتباعد المسلمين الى الآن عن العلوم النافعة الحيوية جعلهم أحط من كثير من الأمم ولا شك انه اذا تمادى تباعدهم هذا خمسين عاما أخرى تبعد النسبة بينهم وبين جيرانهم كبعدها مابين الانسان وباقي أنواع الحيوان فبناء عليه يكون ناموس الارتقاء هو السبب لهذا الفتور كما قال تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

فاجابه (الكامل الاسكندري) ان هذا سبب من الاسباب ولا يكفي وحده لحل الاشكال لان فقد العلوم الحكمية والطبيعية لا يعادل فقد الاحساس الملي والاخلاق العالية لانها توجد في أعرق الامم جهالة وانما سبب فتور حياتنا الادبية هو يأسنا من المباراة وذلك اننا كنا علماء راشدين وكان جيراننا متأخرين عنا فغرنا البقاء فنمنا واجتهدوا فلحقونا. ولبثنا نياما فاجتازوا وسبقونا. وتركونا وراءهم وطال نومنا فبعد الشوط حتى صار ما بعد وراءنا وراءهم فصغرت نفوسنا وفترت همتنا وضعف احساسنا فيئسنا من اللحاق والمجاراة وخرجنا من ميدان المنافسة والمباراة وألسنتنا تفيض بقوله تعالى «سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص» فعدنا الى كهف النوم مستسلمين للقضاء. نطلب الفرج بمجرد التمني والدعاء. ذاهلين على ان الله تعالى جلت حكمته رتب هذه الحياة الدنيا على أسباب ظاهرية ولم يشأ ان يجعلها كالآخرة عالم الاقدار فهذا اليأس هو سبب الفتور فقال الله تعالى اللطف في المقدور

اجابه (العارف التتاري) ان هذه شكاية حال ولا تفي بالجواب لانه ما السبب في ان هذا الهوم غشي المسلمين ولم يزل يغشاهم دون كثير غيرهم من الامم التي انتبهت وسارت ولحقت ظعن الاحياء وما المسلمون بالابدين المتقطعين كأهل الصين ولا هم بالمتوحشين الغريقين كأهل امريكا الاصليين.

ثم قال: انا اراني ان عارضنا فقدنا السراة والهداة فلا أمير عام حازم مطاع ليسوق الامة طوعاً أو كرهاً الى الرشاد ولا حكيم معترف له بالمزية والاخلاص لتنقاد اليه الامراء والناس ولا تربية متحدة المقصد يتخرج منها رأي عام، لا بطرقة تخاذل وانقسام. ولا جمعيات منتظمة تسعى بالخير، وتتابع السير، ولذلك حل فينا الفتور. والى الله ترجع الامور.

أجابه (الفقيه الافغاني) ان ما وصفته من أمير وحكيم لا يوجدان في الامم المنحطة الا اتفاقاً وأما الرأي العام والجمعيات فلا يفقدان الا بسبب فقد الاحساس وهذا ما نتساءل عنه. وذكر ان الداء العام فيما يراه هو الفقر الآخذ بالزمام لأن الفقر قاعد

كل شر ورائد كل نحس فنه جهلنا ومنه فساد أخلاقنا بل منه تشتت آرائنا حتى في ديننا ومنه فقد احساسنا ومنه كل مانحن فيه وأو نتوقع اتيا سنوافيه. فهذه فطرتنا لانقص فيها عن غيرنا وعددنا كثير وبلادنا متواصلة وأرضنا خصبة ومعادننا غنية وشرعنا قويم وتجارتنا قديم فلا ينقصنا عن الامم الحية غير القوة المالية التي أصبحت لا تحصل الا بالعلوم والفنون العالية وهذه لا تحصل الا بالمال الطائل فوقعنا في مشكل الدور وعسى أن تهتدي لفكه سبيلا والا فيحيق بنا ناموس فناء الضعيف في القوى وفناء الجاهل في العالم

ومن أعظم أسباب فقر الامة ان شريعتنا مبنية على ان في أموال الاغنياء حقاً معلوماً للبائس والمحروم فيؤخذ من الاغنياء ويوزع على الفقراء وهذه الحكومات الاسلامية قد قلبت الموضوع فصارت تجبي الاموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للاغنياء وتحابي بها المسرفين والسفهاء. (للاجتماع بقية)

---

# باب التربية والتعليم

## ﴿ الكتاب الثالث «من أميل القرن التاسع عشر» في اليافع* ﴾

شذرات مقتطفة من جريدة الاهرام - تحريراً بمرازيون في سنة ١٨٩٦ الداخلة في سنة ١٨٩٦

### الشذرة الاولى

### حب الزوجة والولد والوطن

منذ سنة تغيرت شؤون حياتي كلها

ولقد وجدتها هي بعينها(١) ولما تلاقينا كنا كأننا لم نفترق في حياتنا فان النوى لم تغير شيئاً من ضروب وجداننا ولا من عاداتنا لبقاء قلبينا على ما كانا عليه من الارتباط والاتحاد وغاية ما حدث اني أراني الآن آنس مني في جميع أيامي السالفة بحسن معاشرتها وجمال معاملتها نعم انها لم تبق طفلة كما عهدتها ولكنها لم تأخذ من مرور

---

(*) الباب الأول من هذا الكتاب في الأم والباب الثاني في الولد وقد تقدما وهذا الباب الثالث في تربية الغلام اليافع (١) يريد زوجته أم أميل